

منيف سعد

قصائد. تحولات في وجهي. وكتاب شعر إلى "مايا"

قصائد. تحولات في وجهي.

وكتاب شعر إلى "مايا".



منيف سعد

قصائد. تحولات في وجهي.

وكتاب شعر إلى "مايا".

[illegible]

2017

قصائد. تحولات في وجهي.
وكتاب شعر إلى "مايا".

تأليف: منيف سعد
دمشق- ص.ب 6223
Email: Gebransaad@yahoo.com



الناشر : دار كنعان
للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية

الطبعة الثانية: 2011 / عدد النسخ 500

لوحة الغلاف: أحمد معلا

يمكن الاطلاع على كتب الدار ومنشوراتها
على صفحة الشبكة التالية:
http://www.furat.com

مقدمة للوجه والأزمنة

ينتمي منيف سعد (1936 - 1995) إلى جيلٍ منَ السوريينَ الأقوياءِ النفوسِ في خمسيناتِ وستيناتِ وسبعيناتِ القرنِ المنصرم، أيامَ نزلَ الريفيون بحناجرهم القويةِ إلى الحواضرِ والمدن، مع أكياسهم الفقيرة والمليئةِ بالأحلامِ العلمانيةِ السحرية، رافعينَ «حرزتهم» الحمراءَ على الراياتِ والفصول، قاصدينَ مدنَ وسهولَ ووديانَ الشامِ التاريخي. من أكياسِ فقرائهم وتصوراتِ زعيمهم، جرَّبوا أن يصنعوا بلاداً لا تأكلُها الأمم ولا ينساها النسيان، هاتفينَ للحياة وسوريا ولكل علمٍ وفلسفةٍ وفن ضيفتها بلادهم للإنسانية. لكن، بسرعةِ النفير، تكسَّرت أحلامُهم سيفاً فسيفاً وتصدَّعَ وعدهم الحر بسوريا الجديدة.

ترددتُ كثيراً قبلَ أن أبدأ مقدمتي بهذا الشكل، ثمَّ أدركتُ أنهُ لابدَّ مما لابدَّ منهُ في وصفِ من نريدُ تقديمهُ. منيف سعد، الرجلُ الصارم، القومي الاجتماعي الملتزم بالحزبِ والعقيدة. أقسمَ يمينَ ولائهِ الحزبي ولم يحنث به، وما شابت شعرةٌ في رأسهِ وسقطت إلا وزادتهُ إيماناً بما يريد، لكن سقطَ معها - بتقدمِ العمرِ والتجربة- أفكارٌ وأشخاصٌ وتطلعات، فأحاطَ وجههُ بأقنعةٍ تراجيدية وعادَ إلى الشاعر الذي فيه عندَ كلِّ انكسار، ثم عادَ إليهِ نهائياً في أواخرِ سنيِّهِ.

هذا الديوانُ / هذه القصائدُ، وجدتها متروكةً ومبعثرةً بين بيتنا ومكتبنا، وقد وجدتُها - كما ينبغي لأي صدفة- كي أعتنيَ بها

وأقدمها وأنشرها، بظن أنني أقدمُ شاعراً بقصائدَ متفرقة وديوانٍ وحيد.

في العامِ 1996 أواخرَ أيلول، أخذتُ القصائدَ، جمعتها، أعدتُ قراءتها على مسمع الصخورِ والأجنحة التي رافقت دروبَ كاتبها، ومستنجداً بكل ما قرأت من كتبَ وأشعار وضعتها في ديوان، وأخذتُ غفوةً لعدةٍ من سنواتٍ أُخَر. أعرف، مجلةَ شعر خرجت من معطفِ النار الذي لأنطون سعادة. أعرف، كانَ لمنيفَ علاقاتٌ واهتماماتٌ بالمجلةِ وشعرائها، وبشكلٍ أوسعَ وأعمق بمن جاؤوا بعدها في الشعرِ والرسمِ وخصوصاً النحت. أعرف، ثمَّ لم أتردد أبداً في تقرير أنَّ ما بينَ يديَّ قصائدُ (لغائبَ) ذي ثقافةٍ متعددة، و... لم تنشر، رغمَ كلِ العلاقاتِ والاهتمامات، وهنا لا أعرف.

على التوالي، طبعتُ القصائدَ، رتبتها كما أرجِّح: وضعتُ القصيدةَ الأولى «دهشة» المكتوبة عام 1958 - والمعادةُ كتابتها عام 1992 بفارق 34 عاماً - في أول الديوان وقد كتبَ فيها (دربيَ المقبلُ من عدم)، ثمَّ ختمتهُ بواحدةٍ من أواخرِ القصائدِ المكتوبةِ في أواخرِ العمر عام 1994 وقد كتب فيها (كنَّا همسة عدمٍ يحكي). العدم، قاسمٌ أول وقاسمٌ أخير، من أولِ الحياةِ المقرَّرة إلى آخرها المجهول. عدمُ الشاعر لحظةَ اصطدامهِ بالموتِ، وقبلَ عودتهِ إلى بطون أمهاتهِ مرةً ومراتٍ في أزمنةٍ جديدة:

[ورحتُ أتلاشى مع الزمن،.. أستسلمُ لخدرٍ عذب.. ولم نعد جسدين، أصبحنا ضوءين متقاربين عائمين في الضباب.. يعيدهما العقلُ مادتين منفصلتين..]

كأنَّ الشاعرَ - متأخراً - عرفَ أنَّ الشعرَ أو الأثرَ الفني، يقدمُ نفسهُ بديلاً عن صاحبهِ ويكثِّفُ أجملَ ما فيهِ من حيواتَ

ووعيٍ على هذهِ الأرض، بعدَ عبورهِ إلى العالمِ الأخرِ في ضيافةِ الآلهة.

في العام 2004 أواخرَ أيلولَ مرةً أخرى، تأملت في مكتبته وكتبه المصفوفة على الرفوف، وحيدةً وباردة.... بعد أن خدعَ الموت أصابعَ من فولاذٍ وغيم كانت قد اعتنت بها طويلاً. يومها، فتحتُ ديوانَ القصائدِ، فلاحت لي بينَ العدمِ الأول والعدم الأخير، حكايا الصبيِ الذي ركضَ ولعبَ وغنّى واحتمى وبكى تحتَ دلبةِ قريته «الناصرة»، الدلبةُ التي تصفو مع عصافيرها وجرسِ كنيستها إلى الطفولةِ البعيدةِ لكلٍّ حبٍّ وسفر. ولاحت بين القصائد ونارِ ذكراها، مرايا العاشق الأولى التي جمَّدتها قداسةُ النساء العاشقات غربَ الصخرةِ والثعلبِ والسنديان. منيف سعد، مطّلعٌ وجريح في بلادٍ اسمها سوريا. من تعددِ الفكر الفلسفي الذي آمنَ به، وتفقده الدائم للمدنِ والعواصم والأنهار، وُلدت آرائه وأعماله في الحزبِ والحياة كأنَّها شارعٌ منَ الغضبِ والورد، ووُلد اختراقُهُ وانتهاكُهُ المتواصلُ للعلاقاتِ والأشياء بعد أن طيَّبَ عقلَهُ بالألم والرغبات، وقادَهُ إلى الانحيازِ الدائم للقلوبِ القافزة ساعةَ قيلولةِ الرعايا والمحاربين.

في سنواتهِ الأخيرة أعادَ وصلَ حبلهِ الروحي معَ أسلافهِ الشعراء، وأرادَ لقصائدهِ عن «مايا» أن تكونَ نشيدَ وداع للحياة. مزَّقَ عن وجههِ آلامَهُ وغسلَ عذاباتِها بالمطر، ثم لحقَ بذاته الشاعرة متكاسلاً ومتأخراً لأسبابَ حزبيةٍ وعقائدية، راغباً- كأيٍّ شاعر- أن تكونَ قصيدتهُ في النهاية، بنفسجةً في يدِ المسيح أو أيٍّ عابرِ سبيل.

بعد ظهر الأول من أيار 1995، نظرَ إلى دمشق نظرةَ الوداع، صلَّى لها و أحاطها بنُصُبٍ من آية الكُرسي و صلبانَ حُمرٍ حُمر، كي

يحميها من العين. سامحٌ أعداءه، و صرخَ من أعماقه: أمي وقاسيون والمطر.... فَزَخَّ المطر.

أصواتٌ غامضة تنادي، على بواباتِ العوالمِ الغامضة تنادي، أصواتُ المقهورينَ المحتاجينَ إلى أيادٍ روحية تشدهم من أعماقهم الخائفة، إلى أعماق أخرى أكثرَ حرية وحميمية، وها هو الشعرُ يردُّ التحيةَ لهذهِ الأصوات، عبرَ رموزهِ في مشارقِ الأرضِ ومغاربها (مايا وانكيدو) مايا الهند سيدةُ الوهمِ، وانكيدو سوريا جدُّ الرجلِ الذي دحرجَ الحجرَ كي يعودَ منَ العدم، مايا الحربُ والموتُ والأمُ الرحيمة، وانكيدو الخلودُ بالحياةِ والحب والشعر والنداء إلى أبدِ الآبدين.

جبران سعد

دمشق- أيار 2005.

قصائد

دَهشَة

كما صرخَ الإنسانُ الأول

عندما وجدَ النار

صرختُ من دهشتي

عندما لمحتُ عينيكِ

مشتعلتينِ في دربيَ

المقبلِ من عدم

هل رقصَ وغنَّى

أولُ من وجدَ النار

هل ألقى بما لديهِ وبما حولَه فيها؟

كنتُ مثلَهُ

ولم يتبقَّ لي شيء

هي أولُ مرةٍ أجدُ سحرَ عينين..

ولهبةً حنونةً في عينين

عيناكِ كالنارِ كلهيبِ النار

لا تشبهُ شيئاً آخر

لكنها لهبةُ النارِ الأولى..

قولي لي..

هل فرَّ أولُ من فاجأه اشتعالُ النار

قولي

كيفَ أواجهُ عينيكِ

المليئتينِ بالشّعرِ والنار.

الناصرة - 1958

وعي الضوء

ماذا أيها المتكبِّر الملتبسُ الهابطُ

في شمسِ باريس؟

ماذا أيها المترنمُ الدهريُ المتساقطُ

في التاريخ؟

هل لامست أجفانَك شمسُ تشرينَ

وأنتَ بجانبِ النبعِ؟

هل وقدتَ النارَ في كومةِ القشِ

وتغلغلَ دفؤُها في راحتَيكَ ووجهِكَ؟

هل تذكرُ حافةَ الصخرِ غربَ غابةِ السنديان

والسماءُ تكدِّسُ الغيومَ

تعدُّ للمطر...

وأنتَ تتمنَّى أن لا يكونَ لكَ بيتٌ

تؤوبُ إليه؟

هل اتكأتَ على الصخرةِ

ترسلُ عينَيكَ وأصابعَك

وروحكَ البيضاء معَ النسماتِ الباردة العذبة

تلامسُ بها أوراقَ العشب ـ الطفل الوليد

منذُ بدءِ الدهرِ.. منذُ أيام؟

هل رفَّ هناكَ قلبُكَ

على تلكَ الزهراتِ الزرقاءَ

الصاعدةِ ـ وحيدةً عاريةً من باطنِ الأرض

تطربُ في ضوءِ الشمس؟

وهل اهتزَّ لها في حناياكَ

موجٌ لم تَعِهِ من قبل؟

هل بكت روحُكَ خشيةً لها

وامتلأت ورعاً وقمراً وضوءاً

من خالقٍ أبيض...؟

هل لازلتَ تَعي

في ضوءِ روحِكَ وغيمِها ونسيمِها

موسيقى الساقيةِ التي

ستصبحُ في الشتاءِ الآتي

طريقَ ماءِ المطرِ الموحلِ

متساقطاً متجمعاً من

أشجارِ الغاب؟

لا، أيها المتكبرُ الملتبسُ في الشمسِ

هي شمسُ باريسَ في أيلولَ

أيها الروحُ الباكي...

هي الأمطارُ الزكيةُ الناعمةُ في باريس

أيها الراجعُ إلى الوطن

هي شمسُ باريسَ وغيومُ باريس

تضيءُ كلَ العيونِ وصخورَ الكون

أيها الآتي من الغاب

يا أيها المتوهجُ...

قم جِد طريقَ الرجوعِ

أيها المليءُ بحضارةِ الشعرِ والشمس

و النار.

باريس-شارع الشانزيليزيه

1984/9/18

عقيدةٌ... وعبث

إلى محمد سليم وقاتليه

1

انزل من عَيني

دع هذا اللحنَ الأخرسَ

يطبقُ جفني

اصعد صوبَ السحبِ العمي

اسأل هذا المقبلَ ناراً

اسأل هذا العبثَ الغاصبَ

كيفَ يبكي الصخرُ الآمنُ

كيفَ يصرخُ هذا الجبلُ

الصلبُ المؤمنُ كالفولاذِ الأحمر؟

2

إني أسألُ كيفَ يمسي الموتُ

عتقاً من أغلالِ الكونِ المغلق؟

أسالُ هذا المقبلَ غصباً

كيفَ أمسحُ هذا الآتي

يدخلُ غصباً

بين النارِ ووهجِ القلبِ المغلق؟

3

قل يا هذا الناشزَ

كيفَ ألقي النارَ

صوبَ الأعلى الغامق

أشعلُ هذا الكونَ العذب

قل لي كيفَ يُشدُّ الحبلُ الشاردُ

بينَ الصدرِ

وبينَ أقاصي الكونِ العابقِ دفئاً؟

4

اهدأ يا ذا الصخبِ

وارفع جفنَكَ

انظر عيني

لا دمع لا نارَ بل إني آتٍ... أقبلُ

لم أبدأ... لم أسقط

لم أحمل بعدُ سكّيني

اقطع هذا الحبلَ

اقطع جلدي

المس منّي موتي الأعذب.

5

حُزني؟

تسألُ حزني؟

لا... هذي ناري

قل كيفَ أحزنُ

كيفَ أنشدُ

وأنا صخرٌ

لم يلقَ في النارِ بعدُ

لم يهرب منهُ الموتُ بعدُ

لم يسقط منهُ الفأسُ

أو يكويهِ الجمر؟

6

لم أُولد بعد

لم أغلب بعدُ العبثَ القاسي

فأصمُتُ

أصمتُ وافتحُ جُرحِي

وأرقبُ

إني أصخبُ مثلَ الصخرِ الآمنِ

عندَ البحر.

1985/6/9

فرح تشرين

مُهداة إلى مظهر برشين

أيَّا عيون بعلو الجَوزة

بلَون الجَوزة

بتعجُن نور معطَّر

تدفِّي الدنيا بشال وعنبَر

أيّا دقَّا

فوق بواب الكَون

الطاوي جناحو

يشوشِر نغمي

تحت رياش الجنح السري

تغلّ وتكبَر؟

أيّا لَون وأيّا نار؟

أيّا سرار اِنشلحت

في هالكون الناشب عينو

بجرِّة خمر.. وباقة زعتَر

أيَّا سَمرا

غلِّت تحت الغَيم وغابِت

صارت غَيمي...... متل الفكرة

صارت نَسمي

بتهمُس متل السيف الساكت

تعبِّي عبَّك بَرد مورَّد

بتطبِّق جفنَك

بتشعر اِنُّو بصدرك سرّا

بتشعر اِنك حامل

جوَّا الدم العابق حَسرا

أحلى زهرا

يزقزق جِنِّي

مخبَّا بصدرك

بيلطي قلبَك

بتشعُر انَّك رايح بُكرا

بتشعر اِنُّو الدَهر تجمَّع

متل النَسمي الكانت سَمرا...

بتكرُج روحَك

بتهدا بتصفى

بمرّ وحلو مكدَّس قلبَك

بخَمر البَرد

بخَمر الشمس
..
بوسع الصَحرا..

دَلّي عيونك
صوب بواب النور
ورندحِ..
رندحِ علو الليل الحاملِ صرّاً
بيفلُش سر الوَجد الجوري
بيحكي لَيش الدم الحاني بيصرَخ
صرخة أبكم
بيصرَخ صامت
متل النسر الجارح هاجر
حامل جوعو بصحرا قفرا
لاغي وعودو
حطّم عودو
مسافر صوب الشمس
مصمم... آخر سفرا

هندلِ يا هالصوت ودحرِج
صخرا
بتم الوادي الهادي الأخضر
زحزِح جبَل

مسكَّر دَرب الريح الخَرسا

تزَوبعِ بعد البحر البَيدر

جاي تشَقِق أرض البور

الجاعتِ في تشرين وعطشتِ

تشَقلِب ناس

تحَرِّر ناس

تسكب بين شفاف

العطشت للينبوع

السري الأطهر

سّرا الأكبر

أيّا سرار

انشلحتِ في هالكون

الناشب عَينو

بجرّة خمر

وباقة زعتر؟

16 تشرين الأول 1985

رجّعني ولد صغير

راحل... رايح
جوًّا عيونُن
فوق كتافُن
برّا النعش
بقَلب النَعش
برقّة نَسمي

عجِّل هات الفاس
وعمّق
حفرة كبيري
دحرِج فيها
لَيلي وهَمّي

عجِّل
رايح صَوب الشمس
وراجِع
متل الطفل السارح
مالو في هَالكون الداير
غير البَسمي.

1985/11/18

طالِع فوق السرو العالي
الساكِت تحت الغَيم بعيد
وشايف متل الفارس حالو

طالِع اِطوي جناحي وغمِّض
فَلفِش بَين ضباب اللّيل
اِلغطّى الدنيا شالو

... يمكن... لاقي طيرُن راجع
حامل منُّن نَغمي سمرا
وريشة نار
تزَوزِق فِيي خيالو.

1987

أمس

أمسِ، أما تمددتِ أماميَ في الشمسِ على صخورِ الغابِ عاريةَ النهدين... وأغمضتِ جفنيكِ، وجُنَّ العصفورُ الغامقُ... واتكأَ على الريحِ بجناحَيه ليدنـي منقارَهُ من شفتَيكِ... يلمسُها بحنانٍ ويباعدُها بقوةٍ وورعٍ لينهلَ بتأنٍ وفرح... علَّه يعودُ إلى الأجواء... ويصعدُ في الفراغِ الذي كانت تئِنُّ فيهِ العاصفة... فينحَّل جسدهُ... وتنحل روحهُ في الفضاءِ اللانهائي... ويشعر بالخلود المطلق.

أمسِ، أما رشفتِ من فم الطير وتنعَّمتِ بجناحَيهِ يلامسانِ وجنتيكِ الزنبقتينِ وشفتيكِ المتنهدتين؟!

أمس، أما تعرَّيتِ كجنيةٍ تتفلسفُ شعراً تحت المطرِ الهنديِ الدافئ في وادي الزنابقِ الحمر، ثم تغَلغَلتِ في الرملِ الدافئِ والعسل... وجاءَ الليلُ وطمركِ بحرير وثمار وأوراقَ زيتون؟

أمس... أما أدركتِني تحتَ الترابِ مسمَّراً على صخرةٍ بيضاءَ أنتظرُ أصابعكِ لتفكَّ أغلالي... وتحررَني من موتي... تضعني في ماءِ النهرِ... رجلاً يخجلُ من عُريكِ ومنَ القداسةِ الدافئة التي تضيءُ نَهدَيكِ الهنديَين...

أمسِ... أما غمرتِ جسدكِ في اللجةِ البهيجة... وأمسكتِ يديَّ وانحملنا في الماءِ وانحدرنا إلى المحيط... سابحَينِ في الفجرِ.. في أمواجهِ الوردية؟

أمسِ، عندما كنا متعانقين، أما كنتِ هكذا؟ فمن يستطيعُ إعادتَكِ امرأةً لا تَفنى ولا تتأوهُ.... مَن؟!

كلكوتا -الهند – *1980*

غَضَب

اِغضب، كَفَاك وداعةً
أنا لا أحبُّ الوادعين
النارُ شرعي لا الجمودُ
ولا مهادنةُ السنين
اِغضب على الموتِ اللعين
فلقد مللتُ الميتين...

1994/11/24

سقوطُ الملك

لستُ أرغبُ تدخل رأسيَ فكرةٌ

دونَ استئذانٍ مني

فارحل عني...

أعرفُ ماذا تخبئُ تحتَ قناعكَ...

فاسقط مني

اسقط... مثلَ جيفةِ

ضبعٍ أغبر...

فأنا أرغبُ أفرشُ بعضَ الزهرِ الأبيضَ

فوقَ فراشي الدافئِ

مثلَ مغارةِ مريمَ

صرتُ حراً منك

أشعرُ أنِّي أعتلُ نفسي مضيئاً...

بينَ شتولِ الكرمة

ورأيتكَ تهربُ غرباً

خلفَ التلةِ...

مثلَ الثعلب...

فوجئَ أنِّي كشفتُه

1995/1/18

القصيدة الأخيرة

مثليَ يهوى الشمس

و ريقَ الجردِ الأخضر

مثليَ يندفُ ثلجاً

يدفأُ في كفَّيه

الزعتر

فادنو مني جرَّةَ خمر...

لستُ أرغبُ أشربُ

فربما بعضُ اللمسِ ـ أسكَر

1995/1/18

تحوُّلات في وجهي



1

.. يا طلَّة الطيرِ والزنبقة

ما لحالمٍ متمرد

سقطَ في مئاتِ المعاركِ

من أجلِ ملامسةِ الله

وتغييرِ سننِ الكون

وشرائعِ البشر..؟

.. كيفَ يضمُّكِ قلبهُ الكتيم

يا آتيةً منَ الحاراتِ العتيقة

حاملةً في روحكِ اللطيفةِ

كلَّ قيودِ البشر

الآتينَ في قوافلَ

من أطرافِ الصحراء..؟

.. يا هاربةً من ديرٍ

في ديرةٍ محمدية أفسدها الزمن

كيفَ يكونُ لكِ

أن تحبَلي وتلدِي طفلَ المغارةِ سراً..

دونَ آلام..؟

.. كيفَ يكونُ لك

يا زنبقةً بريةً بيضاء

أن تنفصلَ أفكارِكِ العتيقةُ عن جسدكِ

لتصلي إليَّ عبرَ اللهيب

دونَ أن تمسَّكِ النارُ

لنتوحدَ معاً..؟

وترحلَ الآلام..؟

.. أناجيكِ يا طلَّةِ الحمامةِ البيضاء

وعذوبةَ المطرِ الليلي

وأقولُ لكِ إني أكتشفُ بكِ ذاتي وقيودي فأتوقُ إلى الحريةِ والنماء.. أعلنُ لكِ همساً أني بكِ تعرَّفتُ بنبيِ جبران الذي زارَني منذُ زمنٍ فلم ألتفت إليه، وهو يقولُ لي بودٍ وصدق : لا يكسرُ شرائعَ البشرِ إلا العبقريُ أو المجنونُ وكلاهما أقربُ الناسِ إلى قلبِ الله..

.. لربما مسّتني روحُ هذا النبي.. بل الأدنى إلى الواقع أنها مسّتنا كلينا.. الأدنى إلى القلبِ أننا مجنونانِ قريبانِ من قلبِ الله.. وإلا فلماذا هذا الشعورُ بعذوبةِ الحرية.. بالرضا وسموِّ الروح..؟ لكأنما تحققَ بنا هدفُ الحياة، لكأنما بلغت بنا الحياةُ بعضَ أجملِ غاياتِها... سلامُ القلبِ وسكونُ الروحِ العميق..

.. لستُ اقدرُ

إلا أن أحملَ هذه الأجنحة

تضربُ ماءَ النهرِ أمامي

توسِّع دربي

في الريحِ والعاصفة..

تضيءُ ليَ الأفقَ البعيد..

... ألا ترينَ معي يا من أتعبها السفر، حاملةً عقلَها المتيقظَ دائماً، أنَ هدفَ الحياةِ من إيجادِ الإنسان هو الوجود، وليسَ شيئاً آخر...؟

ألا ترينَ معي أنَ الحبَ بحدِّ ذاتهِ هدفٌ لأنهُ جزءٌ منَ الحياة، وأنَ الإنسانَ لا يملك أن يقررَ أن يحبَّ أو لا يحب؟ ألا ترينَ أن السموَّ بالحبِّ... هو أيضاً جزءٌ من الوجود..؟

ولكن من يستطيعُ أن يسمو بالحبِّ ويصفو ويمتلئَ بالفرح والقداسة؟ فإذا ما لامست وجههُ أشعةُ شمسِ الصباح، همسَ السلامُ في قلبهِ، يا رضى الله.. ورضى مَن أحببت، ويدني اسمَ من أحبَّ من شفتيهِ... ويمضي يناجي القوةَ الخفيَّةَ اللطيفةَ: يا إلهي امنح قلبَ من أحببتُ، السلامَ الذي يملأُ قلبي الآن..؟

.. من سوى العبقري أو المجنون يقدرُ أن يجتازَ هذهِ العتبةَ، ويدخلَ في قلبِ الوجودِ الجميل.. ويمتلكَ الحياة..؟

لماذا لا نصدقُ النبيَ القائلَ:

.. أنَّ الإنسانَ منذُ ملايينِ السنين، كانَ كالوردةِ مليكةِ الزهورِ، ثنائيَّ الجنس، جسداً واحداً.. ولذلكَ كانَ ممتلئاً بالفرحِ والغبطةِ الدائمة، ولماذا لا يكونُ حقاً ما قالهُ هذا النبيُّ من أنَّ الإنسانَ كانَ يمشي ويطير، ولكنهُ بتطورٍ فاجع، هبطَ وانقسمَ، رجلاً وامرأة، وبهذا بدأت معاناتُهُ المُرَّة، توجُّعُ الروحِ الغامضُ المضني، وتشوُّقُ كل منهما للآخر؟

.. إنـي أصـدقُ هـذا .. و إلا فمـا هـذا الشـوقُ... ومـا هــذا الحبُّ في أعماقِ كلِّ كائن..؟ بل إنِّي أؤمنُ أيضاً بقـولِ النبـي، إنَّ الإنسانَ سيعودُ ويتطورُ ليولدَ كما كانَ منذُ ملايينِ السنين، ثنائيَّ الجنس، جسـداً واحـداً لا شـوقَ لا توجـعَ.. بـل فـرحـاً وغبطـة.. وعطراً وعالماً جميل.....

قد تعوَّد البشرُ قبولَ ما يقرُّه العقلُ، ولكن ألا يقـفُ العقـلُ عـاجزاً عـن فـهمِ توحدِنـا... عناقنـا وتوحدنـا هكـذا دونَ ترتيـبٍ وتصميمٍ مسبق.. دونَ تخيل، وفي أولِ مرةٍ نلتقي..؟..

ترى هل فكرتِ بسلامِ توحدِنا، فكتبتِ لـي أنَّ العقـلَ يقـفُ عـاجزاً عن فهمِ بعضِ حقـائقِ الحيـاة؟ ألا مـا أنـدرَ الداخلـينَ مـن بوابةِ النـار، الذاهبينَ إلى الأفقِ المضيءِ بمجدٍ عظيم.. ألا ما أقلَّ من يقدرونَ على كسرِ شرائعِ البشـر..

.. ترى ألم نتجاوز ما شرَّعهُ البشر؟ ألم نَعد إلى ما قبلَ الشريعةِ والحدود؟

إلى منبعِ المعرفةِ الروحية التي توحي بها الطبيعة،

إلى ما كنا عليهِ منذُ ملايينِ السنين

وبما كنَّا فيهِ منذُ أيام

وإلى ما سنعودُ إليهِ فيما بعد

إلى الروحِ التي تختلجُ في جسدٍ واحد

إلى ما تهدفُ إليه الحياةُ من إيجادِنا....

ومعَ ذلكَ تعودينَ بقلقٍ إلى بعضِ التفاصيلِ. لماذا كنتِ إذن مليئةً بمعرفةٍ نبويةٍ روحيةٍ بما سيكونُ لنا، وأنتِ آتيةٌ بخطىً قويةٍ للقائي لأولِ مرة..؟

أتظنينَ أنَ ما كانَ لنا قد تمَّ دونَ ترتيبٍ كوني، أم أنَّ لديكِ ترجمةً أخرى..؟

لا تذهبي إلى التفاصيل.. آمني أنَّ عناقنا لم يكن لأولِ مرة.. بل كانَ لنا مثلُهُ في أزمنةٍ قديمةٍ عندما كنَّا واحداً كالوردةِ.. غبطةً وفرحاً.. نمشي ونطيرُ.. وسيكون لنا كلَّما عدُنا إلى هذا الكون..

.. أفكِّرُ لماذا لم يكتب القدرُ في كفكِ المتناسقِ الشاعري خطوطَ الحظِّ والعملِ والحبِّ بل تركَهُ صفحةً ملساءَ دافئةً.. ألتَرسُمي قدَرك بنفسكِ.. وتكوني كما تشائين..؟ أم أنكِ انفصلتِ عنِّي يوماً وما كُتبَ لكِ ظلَّ مرسوماً في كفِّي.. وخاصةً خطَّ العنادِ وخطَّ الحبِّ العميق.. وأيِّ بدءٍ جديدٍ سيكونُ لكِ معي..؟

.. قولي كيفَ عرفَ بعضُ العارفينَ ممن مررتِ بهم طوالَ حياتِكِ أنكِ مختلفةٌ عن الناس؟ ولماذا كرَّرَ آخرونَ هذا لي؟ تُرى أيَّ بدءٍ.. في أننا التقينا.. أيتها الهاربةُ من ديرٍ محمدي؟ لا تتحيري.. أوقفي العقلَ العاجز، في الأمرِ حكمةٌ بعيدةُ الغورِ.. وإني أعي بعمقٍ أننا عُدنا والتقينا هذه المرةَ لنتحرَّرَ من جديدٍ في مملكةِ الحب.

.. لا تفكري كباقي البشر الذين لا يستطيعون التوحد في الحب.. إن إيماناً آخرَ أجملَ وأقوى يقوم في أعماقِ الكائن العاقل حتى الجنون..

.. تذكَّري عندما كنا متعانقَينِ متوحِّدينِ.. حدَّقتُ في وجهكِ في الضوءِ الخافت، رأيتُ إلى عينيكِ، وجدتكِ تحدقينَ في وجهيَ أيضاً.. ولستُ أشكُّ أنكِ كنتِ تتساءلينَ وتحاولينَ قراءةَ ما لا تستطيعينَ فهمهُ.. ولم أستطع أن أفهمَ لماذا كانَ وجهكِ مدوراً كما في هالةِ نور... كان مضاءاً من الداخل بضوءٍ عطَّلَ تفكيري.. حاولتُ أن أستعيدَ مقدرتي على التفكيرِ والفهمِ

فلم أقدر.. حاولتُ أن أراكِ كما أنتِ في الواقعِ.. أن أستردَّكِ كما أنتِ فعجزت... كانت لكِ بعضُ ملامحكِ الحالية.. وملامحُ أخرى متداخلةٌ ببعضها كالظلالِ و الطيوف.. ألم تكن تلكَ أطياف وظلال وجوهكِ الأخرى..؟ التي كانت لكِ فيما سبق.. ووجهكِ الجميلُ الذي لكِ الآنَ؟ أكانَ هناكَ أيضاً وجهكِ الأولُ الذي كانَ وجهي جزءاً منه..؟

أغمضتُ عينيَّ وعدتُ إلى التحديقِ في عينيكِ وجمالكِ مراتٍ.. فما استطعتُ أن أراكِ كما أنتِ الآن.. ورحتُ أتلاشى معَ الزمن.. أستسلمُ لخدرٍ عذبٍ.. ولم نَعد جسدين.. أصبحنا ضوءينِ متقاربينِ عائمينِ في الضباب... يعيدهما العقلُ مادتينِ منفصلتين..

.. تذكري.. كنا صامتينِ متوقِّفَي التفكيرِ.. متوحِّدينِ كما كنَّا فيما مضى لنا من حَيَوَات.. تأكدي.. لم أرَ ما يراهُ البشرُ في جسدٍ صُنِعَ بكلِّ إتقانٍ وورع.. ترى، كيفَ يستحيلُ الجسدُ إلى باقاتِ زهرٍ ونجوم.. وحقولِ حنطةٍ ولجةِ خمر.. أسموٌّ إلى هذا المدى..؟

.. لا تتوقفي عند التفاصيلِ الأخرى.. فأيُّ خطأ في أن يكونَ لطفلٍ يحبو في ضوءِ القمر، رغبةٌ في الغورِ إلى نهدينِ دافئين؟ أعرفُ أنكِ لستِ تقولينَ هذا.. ولن يكونَ لنا غدٌ إلا كما هوَ مكتوبٌ بترتيبٍ كونيٍ جميل...

.. غداً.. كيفَ سيكونُ توحدنا في الحبِ؟ كيفَ ستشرقُ الشمسُ على صنوبراتِ التل؟ وكيفَ سيهطلُ المطرُ على حقولِ الحنطة؟ من يدركُ سرَّ صعودِ النبتةِ من حبةِ الحنطةِ المبللةِ في باطنِ الأرض؟ من يدركُ أسرارَ التنوعِ الرائعِ في زهورِ الحقل..؟

.. اهدئي.. يا زنبقةً برية.. الحكمةُ بسيطةٌ.. لكنها ليست بحسبِ الظاهرِ.. لا تتحيري.. ليسَ في الحبِ ضعفٌ.. ليسَ في السموِّ ضعفُ.. توحُّدُ الجسدين قوةٌ سامية، وأنا لستُ أهتمُّ بالتفاصيلِ الصغيرة.. لستُ أتوقفُ عند الرغائبِ، بل إنني أمتلئُ بالصفاء.. والرضا.. والشعور بأننا ما زلنا مقدسين..

.. ما الغدُ.. ماذا سيكون لنا؟ أينَ سيهبطُ فوقنا الليلُ وتشرقُ الشمس؟ أنا على يقينٍ باني سأرى وجهكِ في النورِ باستمرار.. وأننا سنتوحدُ في اللقاءِ الآتي بعمقٍ وحنوٍ أجمل.. وسأعودُ لأتأملَ جمالكِ وأصعدَ في جسدكِ... وأشعرَ بحلولِ روحكِ في أغواري.. سأتأملكِ جيداً وستتأملينني.. ويصرخُ في قلبَينا توجعُ الانفصال... والشوقُ إلى العودةِ..إلى الجسدِ الواحدِ.. وستنجذبينَ في صلاةٍ لا تبقي من جسدكِ الجميلِ إلا الضوءَ.. والهمسَ.. وستناجين الأرواحَ الهائمةَ حولنا لتمنحكِ نعمةَ التوحدِ المستمرِ بي.. وسيكونُ لكِ ما تطلبين..

وعندما يطلعُ الفجرُ.. أكونُ قد تلاشيت.. يكونُ قد حلَّ بعضي بكِ وتوحَّد.. ستأخذين مني لجمالك العذب، بعضَ شعرِ لحيتي، وشاربي، وتقطيبَ جبهتي وكبرياءَها، وسيكونُ بإمكانكِ المشيُ والطيران.. وتكونُ لكِ ألوانُ الوردِ والزهرِ والعبير.. ولن تعودي إلى ديرتكِ المحمدية.. ستتركينَ المدينةَ.. ولن يراكِ إلا القليلُ منَ البشر.. ويعلنُ الحكماءُ منهم أنكِ الربةُ القديمةُ التي كانت تأتي إلى الأرضِ منذ ملايينِ السنين.. وأعتقدُ أن الكثيرَ منهم سيعبدونكِ لبساطةِ عقولهم وطيبةِ قلوبهم، وسيتبعونكِ أينما ذهبتِ صارخينَ: هذه ربةُ الجمالِ والنور.. ولكنَّ البعضَ سينطقونَ كفراً.. طالبينَ إحراقكِ... فأطلُ عليهم من عينيكِ.. فيصمتون.. ويتفرسونَ بنا ونحنُ واحدٌ، ماضينَ على الفرسِ الذهبيةِ القوائم، الفضيةِ الوجه

.. إلى مملكةِ الفرحِ والحريةِ والحب

.. إلى حيثُ يشربُ الطيرُ في قمةِ الجبل

.. يا طلَّةَ الحمامةِ البيضاء وعذوبةَ المطر

.. وموتَ العدم..

1986/1/15

2
انكيدو يعود إلى المدينة

ماذا؟ هل أعدتني إلى الزمان؟ لماذا تحدقينَ بي هكذا من بعيد؟ و يرتعشُ وجهكِ النقي النقيُ.. مَن هم؟!

هل أعدتني إلى عالمِ البشر، إلى عالمِ الآمالِ والوعودِ التي قد لا تتحقق؟؟

لقد عدتُ أرى الناسَ يملؤونَ العالمَ حولنا، يروننا كما يشاؤون، وأنتِ خائفةٌ من شرائعهم...

يا لِخيبتي

كيفَ أنهضُ من بينِ الموتى

هل أستطيعُ دحرجةَ الحجر

لآتي إليكِ

أغمضَ عينيكِ

وأكشفَ صدركِ

أرى جراحكِ وألمسَها بشفتَيَّ...

وأريكِ جراحَ صدري

لتلمسيها بأصابعكِ الدافئة

هل آتي إلى بابِ داركم

تحتَ الشمسِ الهاجعةِ في الضباب

لأعلنَ لكِ

أني قد أبحتُ لكم دمي

لأتلقَّى منكِ أولَ حجرٍ

قبلَ أن يصلَ أولُ الراجمينَ الثائرين.

1986/1/15

كتاب شعر إلى "مايا"

1994-1992

ناس من ورد

سَجَدنا بقُريَك يا بَحر

نصليِّ ونسكُب خَمر

نلَملِم شَجَن أوتار

ونكتُب عَرَملك شعر

ركَعت فَوق الرَمل

تخيَّلت طيفُن طَل

تخيَّلت غَطوا كتافهُن بالشال

نَقَّلت خَطواتُن على المَوجات

ومَشّيتهن صَوبي

توحَّدت فيهن

رجَّعتهُن عالدار

رجَّعت هالطَير المسافر

ع صَدر الدار

والكون فينا مال

تحوَّلت كَمشة ريح

مَتروكي بَلا عنوان

والكون أصبَح فَجر

سَجَدنا بقريك يا بحر

يا رَيت بقدر ضَل

عالرَمل والنَسمي الحنوني خيال

فتَحت عينَيِّ.......

وقفِت ملاَّني دَفا أحلام

والقلب ساكت متل وَردة فل

تذكَّرت لَيلتنا ع شَط بعيد

تذكَّرت آهاتُن

عند...

ما وقفوا بِجفن المَوج

تبيَّنت اِني عشت

هاللحظة ع شَط بعيد

عَم يستَعيد القلب أحبابو

المضى عليهن زَمان

وصاروا بَلا عنوان

وبسجُد لروحن هايمي بها الكون

تعبِّي نَسيمو شعر

سَجَدنا بقربك يا بحر

1992

نعمة

مايا..

يصرخُ فيَّ الصمتُ

يملأُ روحي الصخبُ

مايا صمتاً لحظة

مايا صلّي

جانبَ سورِ الوردِ العالي

مايا اسندي هذا السورَ

صلّي.. علّي أعرفُ

ماذا يجري

علّي أدركُ سرَ الآتي

مايا لملمي مني

جناحُكِ أحمر

مثلَ الفجر

ربما ألمسُ

ماذا ينشرُ

بينَ ضلوعي

وأفهمُ ذاتي

مايا قولي أيَّ شيءٍ

يحكي

كُنهَ القبلة

وكُنهَ الضمَّة

يشرحُ سرَّ الغيمِ

الغافي فوقَ الروحِ

... نعمة

1992/5/2

بسمةُ مايا

بسمةُ مايا وجسدُ مايا

يرنو فوقَ شروقِ الشمسِ

يجثو بينَ أصابعي شيخُ الشعرِ

وشوقُ الشعرِ

يحبو بينَ عروقي

يملأُ صدري

ربما يجرحُ

وربما يجثو.....

يصعدُ مني شراعٌ أخضر

يزعقُ فوقَ الغيمِ سكونٌ غامض

ينمو فوقي ورقُ الجوزِ

يجمع بيني وبين (المايا)

عذباً حلواً

1992/5/2

رَفض

...أسكبُ خمري

فوقَ ترابٍ قاسٍ

أَرمي كأسي

أُطفئ ناري وأجري

.. أكرهُ أني أتيتُ

وأنكِ قربي

أكرهُ أنَّ الزمنَ يجري

وأرفضُ كلَّ الجُدرِ حولي

إني أرفضُ كلَّ قيودِ الدنيا

أمقتُ أني وُجدتُ

بدونِ قبولٍ واعٍ منِّي

....أتراني كنتُ قبلتُ

أزورُ هذا الزمنَ الجاري

أضربُ بقبضةِ كفي

بابي المغلق

لا يأبهُ يومَ أني أرفضُ

لا يخجلُ أني أرفضُ...

عفواً.. مايا ربما كنتِ مثلي

رفضاً غضبه

لكن ظَنِّي

أني أرغبُ أقلبُ

كلَّ... الحولي

أدفعُ كفي تحتَ الشيء

ربما أعرفُ سرَّه

قولي... بعد شهورٍ

كانَ حنوناً وكانَ رقيقاً

لكن اذكري

إن مسرحي ليسَ يكفي..

إني أخشى

ربما كنتُ أسيراً

دونَ علمي....

1992/5/4

حُب

إني أشكرُ كلَّ جهودكِ

ليبقَ الحبُّ عفيفاً

ويبقى عنيفاً

ويبقى رفَّةَ روحٍ

وركعةَ عشقٍ خمرية

مايا أذكرُ أنَّا اتفقنا

أنهُ بعضُ صلاةٍ

ومثلُ سجود

ورودِ ضفافٍ سحرية

1992/9/23

أنتِ بعد ملايينِ السنين

أهرقُ فوقَ نهودكِ عطري

أرمي سيفي

أكسرُ جرةَ خمري

أصرخُ

كيفَ خلقتِ و كيفَ أتيتِ

أتدرين لماذا

تمهَّلَ هذا الإلهُ

بخلقكِ

بعدَ سنينٍ طوال...؟

أليسَ لصنعكِ روعة

أليسَ غريباً بعدَ

ملايينِ السنينِ

رماكِ إلي

وقالَ: تعرَّش

تملَّى و صلِّي

1992/9/23

حتى بكرا

لازِم اِطلع برّا الهمّ

واِصفا

اِنسى اِنّك روح وفكره

جسم وسَمره

شاعر اِنّك وَهم

ونادِف متل نفاف التَّلج

معبّا الدنيا

ومادِد اِيدي راكض

حاول اِجمع

حاول اِمنع

بوقّف عاجز

باِيدي جَمرة

لازم اِطلع برّاً الهَم

واِصفا

اِمرتِك غيبي

اِمرتِك مرِّي

متل الغيم ومتل السَكرة

حتى اِخلص منِّك قلت

بحمِّل روح بروح

نسافر برا الكون

الحابس روحي

جوا جرَّه

قلت بجيبِك طَيف

مغمَّض غافي

بشيلِك فوق الشام

وليلا وسِحرا

جبتِك طَير

غمضت جفوني

وطِرنا

صوب غروب الشمس

فلتِّك حرَّه

متل المهرة

مايا.. أخ

هَيك محيتِك منِّي

مال الشوق

صرتي صَوت

صرتي نغمي.. بعيدي بعيدي

لكن فجأة

لقيتِك جنبي

بعجقةِ خَيل وصَهلت

نَفرِت..

اِنخزقت عن هَالارض

وعَلّت..

فوق جسور الكون

فوق جبال التلج

راحِت..

صوب الفجر بكرم الرَب

وكَرم الخِضر

وفَرسو الخضرا...

أخ... هيك صفيت

عبَرت الهَم

رايح نام ورندحِ

فوق مواج البَحر

واِنسى بُكرا

حتى بُكرا

1993/5/24

وهذا الصبحُ ككلِّ صباحٍ
غلغَلَ في أعماقي وجهك
ترغلَ رغمَ غيومٍ سود
تزحمُ روحي
رغماً عنِّي

عفواً مايا...
إني أجهدُ
أرمي عنِّي رماد الزمن
وأفرشُ فوقَ صباحي الهادي
غُنَّةَ صوتِكِ
وبسمةَ وجهكِ
أجهدُ هذا الصبحَ
أجلو وجهكَ عذباً
وسعَ خيالي
ووسعَ فؤادي

مايا...
يدنو منكِ كياني
كضوءِ الفجرِ الساطع
أشعرُ أنكِ صرتِ الموجَ

الضاحكَ فوقَ البحرِ الواسع

وأنا أفترشُ ذاتي الشطَّ

ورملُ الشطِّ و درجُ الصخر

وأنتِ

تباعاً

موجةً... موجة

تكرجُ تلمسُ مني الرملَ الناعم

تصعدُ فيَّ درجَ الصخر...

درجَ الصدر...

إني أحلمُ

أحيا الشعرَ

ندخلُ زمنَ الشعرِ جميعاً

عطرَ الأنثى

و طهرَ الأنثى

جسدَ الأنثى السامي

وغيمةَ خمر

مايا إنَّ القيدَ بليدٌ

و أنتِ عنِّي أدرى منِّي

بثقلِ الزمن

أنتِ أدرى

بأنَّ جوانحي

ليست حُرَّة

1993/6/5

أجنحةٌ عند الفجر

مايا أقدرُ

أحملُ ريشةَ جانح

طيرٍ أزرق

يرسمُ موجَ البحرِ تهدَّج

آتٍ صوبَ الصدر

ترفلُ فيهِ بسمةٌ

وجهِ المايا

من يقدرُ يرسمُ لي

هذا الموجَ الحيَّ الأزلي

يُظهِرُ فيهِ ويُخفي

قامةَ مايا العذبة؟

صارت خلقاً آخرَ

صارت ضجَّة...

تصعدُ درجَ القلب

درجَ الصدر

وتصبحُ رجَّة... مَن؟

مَن يقدرُ

يرسمُ لي

كيفَ تواصلَ معها القلبُ

رقَّ و حنَّ...

أصبحَ ريفَ البحرِ الحاني

مَن يقدرُ

يرسمُ بالكلمات

موجَ البحرِ

وغُنَّةَ صوتِ المايا

كأنما عندَ الفجرِ

رفَّ جناحٍ سرِّي

كآبتي خرساء؟

يومٌ آخر... ونهارٌ آخر

ولا يتوقفُ الزمن

الشراعُ في اليَمِّ

سُكري وعسلي

الأرضُ تدور

في بركةِ الضوءِ التي تملأُ الكون

الأرض تُنسخُ في الضوء...

يقالُ ليلٌ

ويقالُ نهارٌ

لا تسقط

لا تترنح للضربةِ المؤلمة

تلَمَّسِ الجرحَ

بل حيثُ كانَ الجرحُ

حيثُ يمكنُ أن تنغرسَ السكين....

في طيَّاتِ القلبِ

في أجنحةِ الروح

أنزِل الشراعَ

وارقد رقدةً طويلةً طويلة......

في قعرِ القاربِ الجامد

المتوتِّرِ على صفحةِ الماء

كن فرحاً أنك ترى الدنيا

وتلمسُ الزمن

دورانُ الأرضِ في الضوء

ويقالُ ليلٌ

ويقالُ نهار

قدرٌ... ومسافران (ج1)

إني اعتدتُ البحرَ العاتي

إنما طالَ السفر

تعِبت فيَّ... جيادي

انزلي... هاتي يدكِ... طالَ السفر

طالَ سفرُ الليل المضني

مايا... أصرخُ مايا

أوقفي هذا الزمنَ

حاولي المسي حاولي

هاتي يدكِ

أرغب أطأُ الأرضَ قليلاً

جاعت روحي

لألقي وجهي فوقَ الليلِ قليلاً

أرغبُ أشدو

مثلَ البازِ كشفَ الصدرَ

الصلبَ

تحدَّى الريح

تحدَّى... وحلَّق

انزلي مايا

هاتي يدكِ

بعدَ قليلٍ يصعدُ نجمُ الصبح

وغصباً... تصهلُ فيَّ الفكرة

غصباً أعلو مثلَ الفكرة

ومثلَ جوادٍ أزلي

أرجعُ أعدو...

فوقَ الحفر

هاتي يدكِ

فرفطي عنيَّ ورقَ السروِ

المسي صدري

واسمعي نفسَ الماردِ

يسكبُ فوقَ الزمنِ النار

لستُ أطلبُ إلاَّ الصمتَ قليلاً

لأوقفَ هذا السفرَ المضني... ثوان

هاتي جناحكِ

مدِّي جناحكِ

إنِّي أعلمُ أنَّه مثلَ وريقةِ وردٍ

إنما أشعرُ أكثر

أنَّه تحتَ جناحكِ

ينأى الموت

و همسُ الحبِّ كعنبر

مايا صبيٍّ قليلاً... رفرفي

خمركِ أحمر

أقولُ: سفري المضني جميلٌ

وعندكِ نسكر

1993/9/27

قدرٌ... ومَسافران (ج2)

هاأنا قربَ الصخرة

جسدي ملقىً

أُرخي عنانَ جوادي

آمَلُ يمضي

أبقى وحيداً

أسمعُ لحنَ الصبحِ الواهي

آهٍ... يأتي الحزنُ عواصفَ

تسفحُ هذا القلبَ الغامق

... ها أنا اسندُ رأسي

أرقبُ كيفَ القلبُ يصرُّ

أرقبُ كيفَ ألملمُ كلَّ الحزن

إنما أغرز عينيَّ بعدَ الأفقِ

... إني حزينٌ

لكن... ليس يقدرُ هذا الزمنُ

يلوي زندي

يخلعُ بابي الموصد

... أنتِ كيفما شئتِ كوني

إنما هذا الباشقُ

ليسَ الحزنُ و ليسَ الزمنُ
يقدرُ يخلعُ منهُ القوة.

إني أعلو فوقَ المقتِ
فوقَ القبحِ الجارفِ مثلَ النهر
أقدرُ أحملُ كلَّ الحزن
إنما أخشى يقدرُ هذا الزمنُ
يغلبُ فيكِ النخوة
«إني أصخبُ
مثل الصخرِ الآمنِ
عندَ البحر»

1993/10/3

صلاةٌ... رماديَّةٌ وحمراء

مايا منِّي مثلُ الرقَّة

مايا منِّي...

مثل سكونِ الليل

وطهرِ الصبح

وعجقةِ زفة

مايا أينَ وكيفَ

أنتِ الآن

وانا أقيمُ صلاتي الكبرى

قربَ الثلج

وعندَ حدودِ الغيم

أمحو الفكرَ وتصفو الروح

وأصعد.. وأصعد

مايا

أصعدُ من عينيكِ

صعودَ النور

وروعةَ خيرٍ أبيض

تسطع فيَّ الرؤيا
أطوي جناحي
أغمضُ عينيَّ
أطمرُ وجهي
بلطفِ الحبِّ
وتقوى الحب
بينَ غصونِ الكرزِ المزهر
وعلى غيومِ الشوق
وصدى دبيبِ القلب
يكشفُ بينَ ضميم الزهر
وبينَ رعشةِ كفَّي
عطرَ صدرك
عطرَ اثنينِ حُمِلا بكفي
ككأسِ المرمر

إني الآنَ مليءُ الروح
أؤمنُ
أني وأنتِ
وهذا الكونَ
وعبرَ العطرِ العابق
في نهديكِ
سرٌّ واحد

الغريبة

وغيمةُ ليلي

الأزرق

تحكي.......

كيفَ يرفرفُ

فيكِ الحبُّ

تدنو روحي من جدرانِ السورِ العالي

تحكي تهمسُ

أنَّ البحرَ عميقٌ

وأنَّ الحبَّ عميقٌ

وأنَّ طعامكِ

خمرُ الربِّ

وخبزُ الرب

فجرٌ على باب الغريبة

إني لأعجبُ

كيفَ عبرنا الليلَ

وكنا سوياً.

أعجبُ أني وُجدتُ

وأنكِ قربي

وأنَّ الديكَ يصيحُ

أعجبُ أني كنتُ

طوالَ الليلِ أغني

ومايا هناكَ تميلُ

أيعقلُ أنَّا التقينا

وأنا صلَّينا

وأنا بَنينا

مايا.. دعيني

أرغبُ أعبرُ هذا الفجرَ

وحدي

مايا هذا الوادي عميقٌ

ولستُ أظنُّ جناحكِ يقوى

عودي... لربعكِ مايا

يكفي أنَّا عبرنا الليلَ

سوياً

سرُّ مايا

مزقي هذا السرَّ الغامضَ

في عينيكِ

في كلٍّ حبةِ رملٍ فيك

وكلِّ قطرةِ حبٍ منكِ

مزقي فوراً...

يهطلُ مطرُ الليل

دفقاً

تمسي الدنيا تحتَ اليَمِّ الدافيء

نبضاً حلواً

بل يدخلُ هذا القلبُ العاشق

في نهديكِ... ربما..

إني أطفو فيكِ

كأنما أنتِ الزورق

يَسكَر

مايا ارمي شيئاً عنكِ

أرغبُ ألبسُ مثلَ الشال

جسدكِ

نطفو أنتِ و أنا

جسداً مثلَ الغيمة

نبحرُ شوقاً

نمطرُ فوقَ شجرِ الطير

زوفا...

مايا ارمي شيئاً

مزقي هذا السر الغامضَ

في نهديك

1993/10/6

لوركا

يجرحُ روحي أني قلتُ شيئاً

مما يجري

فاكتمي أني يومَ جُرحتُ

عبرت عينيَّ دمعة

اكتمي أنَّ بعضي

يحبو صوبَ القبر

وأنَّ بعضي

يطفو فوقَ السيل

يسرع صوب البحر

يفنى تحتَ الزرقة

وتحتَ الشمس

اذكري دونَ زيادة

أن بعضي زهرة

وبعضي وردة

غصَّت تحتَ بردِ الصبح

قولي.. بل يمكنُ أن أسمح

آن تحكي لأيِّ غريبٍ

أني أقطف كلَّ ورودي

لتُرمى دونما غاية

ضيفي أني أهوى

أرمي الوردة

1993/11/17

جرس الليل العاشق

قلتِ نسيتُ غناءَك شعراً!!

لا...

أنتِ الشعرُ الهاجعُ

بينَ حنايا الصدر

وأجمل

أنتِ صداحُ طيورِ البحر

وخمرُ الليلِ.. وأثمل

أنتِ الظلُّ

سكنتِ الروحَ

وأنتِ الحبُّ وأشمل

مايا...

كيفَ أهاجرُ منكِ

وألقي الروحَ

وأرحل؟

مايا

كيفَ يموتُ الشاربُ... وَنهدكِ يُحيي... وأنهل.

على هذه الأرض

غرَّدَ مني الشوقُ لأكتبَ شيئاً يعبرُ عبَّ الغيمة

زقزقَ هذا الشوقُ فجأة

قلتُ هاتي قلماً واكتبي

اكتبي مني أنَّ البومةَ تنعق

أنَّ غراباً أسودَ كانَ جنيناً

يحبو حولي

كبرَ ثم طارَ وعلَّى

غابَ مثلَ الموتِ الأسود

إنما بقيت منهُ ريحه

بقيَ منهُ نقيقه

أشعرُ أني صرتُ حراً، إنما يزعجُ روحي

أني عشتُ قريهُ

وأنَّ بعضهُ ظلَّ يهسهسُ مثلَ ظلامٍ غامق

اكتبي عني

أنِّي أهوى أملكُ سيفاً،

أضربُ وجهَ الأرض العطشى

اليبست حيثُ أنَّ غراباً بشعاً

عاشَ عليها

أهوى تأتي الريحُ صباحاً

تحملُ ماءً أحمر

وريشةَ طيرِ الحجلِ

تكتبُ فوقَ هذي الأرض

بعضَ كلامٍ

أنزلُ فوقَ نبيٍ

تكتبُ شيئاً

يعطي الأرض الطهرَ

تلقي فوقَ جرحِ القلبِ سلاماً

تلقي فوقَ الروحِ نقطةَ غبطة

تلغي مني الليلَ

تشطبُ هذا المقتَ

تخفضُ فورةَ حزني

تطمرُ مجرىً

كانت تجري فيهِ دموعي

ربما كانت فيهِ تجري

ربما ظلَّت تهدرُ فيهِ عواطفُ حزني

وسيلُ دموعي

اكتبي مني

بعضاً مما يجري بينَ ضلوعي

ربما أقدرُ أحكي... هكذا

إني جريحٌ تحتَ الدربِ

يأتي الليلُ وتأتي الريحُ

يعبرُ بي هذا الزمنُ

يوماً يوماً وأنا باقٍ

اكتبي أني

ربما قلتُ أي شيء

مما يهدرُ بينَ ضلوعي

مايا.... أضربُ هذا الصخرَ بخنجري

ذلك أني

لستُ أدري

أني قلتُ شيئاً مما يجري

أنا لستُ أدري

أني أدري

1993/11/17

الحلم الأخير للطفل الأحمر (1)

قلتُ وداعاً...

إني وحيدٌ وبعدَ قليلٍ

يبحرُ فوقَ اليَمِّ

شراعي....

.. قلتُ.. أنِّي

ألقي عني بعيداً

ضوءَ نهارِكِ.. إمضي

آهٍ.... إني أمسي حطاماً

بينَ أصابعَ

ليسَ لديها النارُ

وبعضُ النور

لتخلقَ بينَ جوانحي جسراً

تعبرُ فوقهُ روحي

صوبَ الفجر

آه.. إنِّي عرفتُ اليوم

سرَّ الغربة..

إنِّي عرفتُ اليوم

كيفَ أموتُ كلَّما

قامت بيني وبينَ

- الآخر-

جدرُ الجهل..

قلتُ.. كيفَ يسعُ القلب

بعدُ أُناساً

رُنِّخوا...

عندي بعدُ كلمة...

تثقُلُ فوقَ شعوري:

هذا اليومَ عرفتُ

كلَّ خوافي شعوري

بأنِّي غريبٌ عن دنياكم

وإنِّي لستُ أرغبُ أبقى

أحملُ ثقلَ الجهل

أكتبُ فوقَ الحجرِ الأسود

بدمي..

أني أهربُ منكم..

وأنهُ ليسَ لديَّ الصبرُ أكثر

أكتبُ فوقَ الحجرِ الأسود

بدمي..

فيكِ هبوطي البحرَ لأمضي

أكتبُ:

«كنتم حوليَ مثلَ طيورِ البحر

كنوارسِ حُبٍّ

وكنتُ أبداً أشعرُ غربَتي

عنكم

لستُ أطيقُ الجهلَ

وداعاً»

الحلم الأخير للطفل الأحمر (2)

أخرجُ من دنياكم حراً

أسكنُ نفسي

أعصرُ حزني

ظنَّت مايا أني أشبهُ بعضاًمنكم

كيفَ أُلزم هذي المايا

تقنعُ أني

أشبهُ نفسي ليس أكثر

إني حرٌّ، لكن لستُ مثلَ الآخر

أرغبُ ألقى الطفلَ الأحمر

مَن لي يأخذُ منِّي بعضي

حتى أبقى نفسي

مَن لي يُلغي كلَّ ما قالته مايا

يبقى حراً فيَّ الطفلُ

يشلحُ عنِّي ثوبي

أحزانُ أواخرِ الصيف

هاتي القلمَ المرَّ الأبيض

يخطو فوقَ الورق

دونَ أثر

يكشفَ ألمَ القلبِ الغامقِ

اضغطي هذا القلمَ الأبيض

احفري شيئاً ليسَ يُعرف

اكتبي شيئاً ليسَ يُعرف

اكتبي ما ليس يُقرأ

اغمسي هذا القلمَ الأبيضَ

تحتَ كلامي

واكتبي سراً ليسَ يُقرأ

اكتبي ما ليسَ يُعرف

ما ليسَ يُقرأ

دندني عنِّي

أنتِ اكتبي عنِّي

كيفَ أراني اليومَ

في أولِ يومٍ قلنا

إنهُ بدءُ فصلِ الحزنِ الأصفر

اذكري أني قلتُ هذا السيف
اقطعي خيطاً يربطُ بيني وبينَ
هذا الكونِ بعدَك.

1994/9/17

الوجه الآخر لطايا

إني أظنُّ الحجرَ الأبيض

أعلى البرج

قربَ الساري

سوف يُخَلخَل

ثم يُدحرجُ حتى الوادي

إني اشعرُ أنَّ الحجرَ الأبيض

الحامي الصدر

يخلعُ فجأة

وأنَّ الريحَ تغزو القلب

تصهلُ حره

... إني فراغٌ

ما للروحِ غزاها حزنُ الأبد؟

ماذا يجري

إني أعمى

أشعرُ أنَّ القلعةَ مالت

هذي اللحظة

دقوا الجرسَ

أوقدوا نارَ الخطرِ

أيقظوا حرسَ الريحِ الشاكي

أيقظوا كلَّ الجنِّ وجنُّوا

صارَ البرجُ جنوناً

هتفت روحي: ماذا؟

أيُّ الخطر الآنَ آتٍ؟

ردوا : مايا

مايا تحتَ السورِ تحملُ ترساً

تحملُ ناراً

جاءت تغزو القلعةَ

يا رباه: مايا مايا؟؟!

اكلما أخبروا أنَّ الخطرَ آتٍ

كانت مايا؟

مايا صارت كلَّ الخطرِ

وكلُّ غزاةِ الدنيا ولوَّا؟

.... أبقوا السيفَ القاطعَ قربي

وافتحوا بابَ البرجِ

أدخِلوا مايا

لكن اعصبوا عينَي هذي المايا

تبقى حرة ضمنَ البرجِ العالي

تملكُ هذا البرج

تبقى حرة

يا قَدَرُ أنا قَدَر

أَلمسُ وجهَ الماءِ

النازلِ من جبلِ الثلجِ

بغصنِ الصفصافِ الباكي

أعصرُ حزني الأزليّ

أرميهِ وغصنَ الحورِ

لشلالِ الجبلِ الشاكي

آهٍ...

نفذوا في قلبي

إلى الجهةِ الأخرى

قطعوا في صدري شباكي

بقيت أشلائي وتصميمي:

أن أعشقَ قدري يا مايا

أنا وإلهُ النارِ وعيناكِ.

وجعُ الطير

وجعي
أني مثلُ الطيرِ
سكنتُ الجبلَ العالي
وكنتُ جناحَ الجرح
ولستُ أرغبُ أحكي
وجعي إني قُتلتُ
مثل الطيرِ يطمرُ جرحهُ
وأكتمُ أمري
وربما أبكي

1994/9/17
(حفلة فيروز)

صوتُ الخريف

إنَّ حفيفَ الورقِ

يدمي القلبَ

إنَّ يدكِ ليست منكِ

إني أسمعُ صوتَ ملاكٍ

فيها يحكي

ألفَ مرة

سوفَ أذكرُ كيفَ مرَّت

يدكِ اليمنى فوقَ الورقِ الأبيضِ

تطوي، تكتبُ، تنشرُ منِّي

ألقَ السرِّ (الحبِّ)

امضي امضي يكفي أن بعضَ العمرِ

كنا همسةَ عدمٍ يحكي

1994/9/17

الفهرس





أصواتٌ غامضة تنادي، على بواباتِ العوالمِ الغامضة تنادي، أصواتُ المقهورينَ المحتاجينَ إلى أيادٍ روحية تشدهم من أعماقهم الخائفة، إلى أعماق أخرى أكثرَ حرية وحميمية، وها هو الشعرُ يردُ التحيةَ لهذهِ الأصوات، عبرَ رموزهِ في مشارقِ الأرضِ ومغاربها (مايا وانكيدو) مايا الهند سيدةُ الوهم، وانكيدو سوريا جدُ الرجلِ الذي دحرجَ الحجرَ كي يعودَ منَ العدم، مايا الحربُ والموتُ والأمُ الرحيمة، وانكيدو الخلودُ بالحياةِ والحب والشعر والنداء إلى أبدِ الآبدين.

